بريطانيا من اعباء في هذا الشأن .

خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية ، وهي بلا منازع اعظم قوة اقتصادية وعسكرية في العالم . وخرجت بريطانيا منتصرة وعلى رأسها اكليل الغار ، انما مفلسة . وبقي معظم الشعب البريطاني عقدين من الزمان تقريبا يتغذى بأوهام العظمة الامبريالية ، لكن الحقيقة ان دور بريطانيا كحكم في الشؤون الدولية كان قد انتهى فعلا .

وتعرض النفوذ البريطاني في الشرق الاوسط للهجمات من كل حدب وصوب . لقد سعى الفلسطينيون الى تقليص هذا النفوذ رغبة بتحقيق استقلالهم . وسعت الاقطار العربية الاخرى الى الحد منه لانها كانت تنتقل من الكولونيالية الى الاستقلالية . واراد الصهيونيون الانتقاص منه لانهم كانوا عازمين على انشاء دولة يهودية . ورغبت الولايات المتحدة بتقليصه لانها كانت مطية للنفوذ الصهيوني ، ولانها كانت ترتاب في حزب العمال البريطاني ، ولانها كانت تعد الترتيبات الخاصة بالحرب الباردة . وأصبحت بريطانيا في ظل هذا الوضع ، عاجزة عن فرض اية تسوية .

واذا صرفنا النظر عن القيود التي فرضتها الحقائق السياسية لعالم ما بعد الحرب على حجم بريطانيا ، فان الحكومة العمالية في بريطانيا واجهت كذلك معضلة اخلاقية شبيهة بالمأزق الذي وقعت فيه حكومات الاقلية العمالية قبل الحرب . فمن ناحية ، كانت الحكومة ملتزمة بما اصدره الحزب من سياسات تضمنت بيانات صهيونية ، قبل استلام السلطة ، ومن الناحية الاخرى ، ان تطبيق هذه السياسات الان وبعد أن اصبح العمال في السلطة ، وعلى حساب شعب فلسطين ، أمر يتعارض كليا وفلسفة الحزب الاساسية القائمة على العدالة الاجتماعية . وفي النهاية لم يكن أمام وزير الخارجية ارنست بيفن ، غير ان يعلن اخفاق جميع مجهودات الحكومة « التي بذلتها بدأب متواصل » ، بحثا عن حل ، وان المخرج الوحيد المفتوح امام الحكومة هو طرح المشكلة على هيئة الامم المتحدة(٢٢). وأدى تتابع الاحداث التالية الى اعلان اسرائيل لقيامها ذاتيا ، بالتواطؤ الخفي مع ادارة ترومان في الولايات المتحدة ، في الرابع عشر من مايو — أيار ١٩٤٨ .

واشتدت الحملة الصهيونية على الحكومة البريطانية العمالية ، خلال تلك الفترة ، سواء داخل حزب العمال او خارجه . وفي المؤتمر السنوي المنعقد في يونيو — حزيران من عام ١٩٤٦ في بورنماوث ، دعا قرار لعمال صهيون بشأن فلسطين الى « المساواة التامة بين حقوق جميع السكان من يهود وعرب » ، ودعا مع ذلك الى هجرة يهودية غير مقيدة الى فلسطين ، والى انشاء دولة يهودية(٢٣). وبعد الجدال سحب هذا الاقتراح ، لكن المؤتمر التالي الذي انعقد في مارجيت في (مايو — أيار من السنة التالية (١٩٤٧)، تبنى قرارا مطولا لعمال صهيون اورد القرارات الصهيونية المتخذة بين ١٩٣٩ و ١٩٤٤ ، وبينما تحاشى هذا القرار ان يذكر بصراحة مطلب اقامة دولة يهودية في فلسطين ، فانه طلب الى الحكومة « أن تلتزم في تصرفاتها بروحية هذه البيانات ، سواء في غضون الفترة الفاصلة الى ان تتخذ هيئة الامم المتحدة قرارا نهائيا ، او لدى عرض الحكومة البريطانية لموقفها امام الامم المتحدة »(٢٤).

عند تقديم ذلك الاقتراح ، جرى تطويق القرار بشأنه بطريقة اجرائية قد تكون موحى بها — وقد لا تكون — من خطة الحزب . ان تقرير المؤتمر يذكر على الصفحة ١٨٢ : « فيما يتعلق باقتراح عمال صهيون المقدم ، طرح احد المندوبين المسألة السابقة ، ونال تزكية ، وجرى تبنيه » .

وراء الكواليس

كان الصهيونيون ، بالاضافة الى نشاطهم العام العلني الكثيف ، يمارسون ضغوطات ثقيلة وراء « الكواليس » . هارولد لاسكي الذي كان قد لعب ذلك الدور الرئيسي بالخفاء ضد سيدني ويب ، كان عضوا في اللجنة التنفيذية الوطنية لحزب العمال البريطاني منذ ١٩٣٦ ، ثم اصبح رئيسا للحزب بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٦ . وعاود الان نشاطه وتحركه ضد بعض اعضاء الحكومة بالطريقة نفسها التي تحرك بها في ١٩٣٠ . وفي خريف ١٩٤٥ كتب الى صديقه الامريكي الصهيوني فيلكس فرانكفورتر ، يبلغه انه كان يحاول تنظيم «معارضة داخلية لمحاربة اتلي — بيفن اللذين خانا اليهود » . والواقع ان ما كان يحاول تحقيقه هو ان ينظم اللجنة التنفيذية الوطنية بصورة تجعل منها قوة ضاغطة على الحكومة لاكراهها على انتهاج الخط